إحياء السنة وإخماد البدعة

تأليف

العالم العامل الورع المجاهد

الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة

الشيخ عثمان بن فودي

تغمده الله برحمته

تحقيق وتعليق

أحمد عبد الله باجور

الباحث بمجمع البحوث الإسلامية

الطبعة الثانية

١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

الطبعة الأولى

رمضان سنة ١٣٨١ هـ

مارس سنة ١٩٦٢ .

تصـدير

لصاحب الفضيلة الاستاذ الدكتور

الحسيني عبد المجيد هاشم

الامين العام للمؤتمر العالمي للسيرة والسنة الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

« وبعـد »

قرر الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية أن تقدم لمؤتمر السيرة والسنة الرابع كتاب : احياء السنة ، واخماد البدعة للعالم العامل المجاهد الورع الشيخ : عثمان بن فودى النيجيرى

والسنة عند علماء الحديث تطلق : على أقوال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعاله وتقريراته ، وصفاته الخلقية والخلقية قبل البعثة وبعدها .

وتطلق السنة عند علماء الفقه على المندوب من الأحكام الشرعية التى هى : فرض ، أو واجب ، ومندوب ، وحرام ، ومكروه ، أو على ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه .

وفى الاصطلاح عند المحدثين : تطلق على ما أضيف الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما تشمل عند البعض : ما أضيف الى الصحابة أو التابعين (١) كما تطلق عند الأصوليين : على أفعال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقواله وتقريراته ، ولا تطلق على أوصافه ، لأنهم يجعلون السنة مصدرا من مصادر التشريع ، سواء كان ذلك فى كتاب عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أم كان من اجتهادهم : كجمع المصحف ، وتدوين الدواوين ، ونحو ذلك ، ويدل على ذلك قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه الامام مسلم : « عليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » .

وتطلق السنة عند بعض العلماء على ما يقابل البدعة : فيقال فلان على سنة اذا عمل وفق ما عمل عليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ويقال فلان على بدعة : اذا عمل على خلاف الكتاب والسنة .. وفى الحديث الشريف : « من سن سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » رواه مسلم .

ومن أدلة الشرع : الكتاب وهو القرآن الكريم ـ والسنة وهى الحديث الشريف وروى عن الامام الشافعى فى الرسالة فى باب العلم ما يوضح الواجب المتفق عليه فى العلم وما يصح فيه الاختلاف . قال الشافعى : قال لى قائل : ما العلم ؟ وما يجب على الناس فى

---

(١) شرح نخبة الفكر ، التقريب للسيوطى

العلم ؟ فقلت له : العلم علمان .. علم عامة لا يسع بالغا غير مغلوب على عقله جهله .
قال : ومثل ماذا ؟ قلت : مثل الصلوات الخمس وأن لله على الناس صوم شهر رمضان ، وحج البيت اذا استطاعوه ، وزكاة فى أموالهم وأنه حرم عليهم الزنى والقتل والسرقة والخمر ، وما كان فى معنى هذا مما كلف العباد أن يعقلوه ، ويعملوه ، ويعطوه من أنفسهم وأموالهم ، وأن يكفوا عنه ما حرم عليهم منه .

وهذا الصنف كله من العلم موجود نصا فى كتاب الله ، وموجود عند أهل الاسلام ينقله عوامهم عمن مضى من عوامهم ، يحكونه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يتنازعون فى حكايته ولا وجوبه عليهم ، وهذا العلم العام الذى لا يمكن فيه الغلط من الخبر ولا التأويل ولا يجوز فيه التنازع .

قال : فما الوجه الثانى .. قلت له : ما ينوب فيه العباد من فروع الفرائض ، وما يحدث به من الأحكام وغيرها مما ليس فيه نص كتاب ، ولا فى أكثره نص سنة وان كانت فى شىء فيه سنة ، فانما هى من أخبار الخاصة ، لا أخبار العامة ، وما كان منه يحتمل التأويل ويستدرك قياسا . قال : فيعدو هذا أن يكون واجبا وجوب العلم قبله أو موضوعا عن الناس علمه ، حتى يكون من علمه منتقلا ، ومن ترك علمه غير آثم بتركه أو من وجه ثالث خبرا أو قياسا فقلت له : بل هو من وجه ثالث . قال فصفه واذكر الحجة فيه بما يلزم منه ومن يلزم ، وعمن يسقط . فقلت له : هذه درجة من العلم ليس تبلغها العامة ، ولم يكلفها كل الخاصة ، ومن احتمل بلوغها من الخاصة ، فلا يسعهم كلهم كافة أن يعطلوها . واذا قام بها من خاصتهم من فيه الكفاية لم يحرج غيره ممن تركها ان شاء الله ، والفضل فيها لمن قام بها على من عطلها » (١) .

« وبعد »

فقد ذكرت هذا النص للامام الشافعى لبيان ما يجب من العلم كفرض عين ، وما يجب كفرض كفاية وما يجوز التنازع والخلاف فيه دون أن يكفر البعض البعض أو يخطىء فريق فريقا آخر وحتى لا يختلف المسلمون فيما بينهم على أمور تحتمل وجهات متعددة حماية لوحدة المسلمين وتآلفهم .

وفق الله المسلمين الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجمعهم على التعاون وعلى البر والتقوى انه سميع قريب الدعاء .

الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم
الأمين
العام للمؤتمر العالمى للسيرة والسنة الشريفة
ووكيل الأزهر الشريف

(١) الرسالة للشافعى تحقيق الشيخ احمد محمد شاكر مكتبة التراث ص ٣٥٧ .

كلمة

محقق الكتاب للطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة واتم التسليم •

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » (سورة البقرة آية رقم ٢٨٦) •

وبعـــــــــد ••

فان كتاب احياء السنة ، واخماد البدعة لمؤلفه العالم المجاهد الورع ، الداعى الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة •

الشيخ عثمان بن فودى (١) ــ تغمده الله برحمته ــ •

هذا الكتاب قامت الادارة العامة للثقافة الاسلامية بالأزهر فى رمضان سنة ١٣٨١ هـ ــ مارس سنة ١٩٦٢ م بطبعه لما فيه من جهد مبذول يدل على تعمق الرجل وفهمه وقوته ووضوحه فى بيان ما هو من السنة وما ليس منها بأسلوب غاية فى اليسر والسهولة احياء للسنة المحمدية ، واخمادا للبدعة التى فشت فى الكثير من أعمال المسلمين •

وكانت دعوته هذه عودة بالأمة الاسلامية الى مصادر الدين الحنيف والى الحنيفية الرحبة السمحة التى بعث بها سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهى ملة بيضاء ليلها كنهارها ــ لا يحيد عنها الا ضال •

وكان قد قام بالاشراف على تحقيق هذا الكتاب فى طبعته الاولى لجنة من خيرة أساتذتنا الكرام نذكرهم بالفضل والتقدير لما بذلوا من جهد وعمل متواصل فى اخراج الكتاب •

وهؤلاء الأساتذة هم أصحاب الفضيلة : ــ

١ ــ الشيخ / حافظ محمد الليثى •

٢ ــ الشيخ/طه محمد الساكت الخبير بلجنة السنة بمجمع البحوث الاسلامية •

---

(١) ١٢٣٢ هـ ــ ١٨١٧ م ــ راجع تقديم المرحوم صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور محمد البهى •

٣ ــ الشيخ عبد الرحيم فرج الجنــدى ــ رحمهم الله ــ •

ولعله من اليمن والبركة لهذا الكتاب أن كانت طبعته الأولى فى شهر رمضان المبارك عام ١٣٨١هـ • وان كانت طبعته الثانية قد بدىء بها فى شهر رمضان عام ١٤٠٥ هـ بعون الله تعالى وتوفيقه •

ولقــد واجهت اللجنة الأولى الكثير من الصعاب ، وتغلبت عليها ووصلت به الى ذلــك المســتوى من التحقيق والاخــراج فى طبعته الأولى •

عمل اللجنة فى الطبعة الاولى : ــ

ــ لقد قامت اللجنة بحصر أحاديث الكتاب فى مائتين (١) وخمسين حديثا نقل المؤلف أكثرها من صحيح البخارى وغيره وعلقت على بعضها فى هوامش الكتاب ، واستدركت على المؤلف حديثين مبينة ما فيهما (٢) ثم قالت : وان يشأ الله لهذا الكتاب أن يطبع مرة أخرى ، نلحق به دليلا خاصا بالأحــاديث مخــرجة ومرتبة على حروف المعجم •

عملى فى الكتاب : ــ

بمناسبة الاعداد للمؤتمر العــالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الذى استضافه الأزهــر فى عهد صاحب الفضيلة الأمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ــ شيخ الازهر ــ فقد اختير هذا الكتاب ليكون من مطبوعات المؤتمر وكأن هذا جاء تحقيقا لما تمناه أصحاب الفضيلة أساتذتنا الكرام أعضــاء اللجنــة الأولى التى قامت على اعداده وطبعه أولا •

ولقد شرفت بتكليفى بتخريج أحاديث الكتاب وتحقيق نصوصــه وتوثيقهــا بارجاعهــا الى مصادرها التى أشار اليها المؤلف ــ باشراف الأستاذ الدكتور الشيخ الحسينى عبد المجيد هاشم/الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية •

والمؤلف ــ رحمه الله ــ عالم فاضل ، مالكى المذهب ، سلفى المنهج ، صاحب دعوة ، وهو واحد من العلماء القلائل الذين تتلمذوا على ماكتبه ابن تيمية ، وهو فى كتابه هذا قد بذل جهدا كبيرا يدل على اخلاصه فى دعوته وكانت تبعاته فى الدعــوة تضطره الى الارتحال فى سبيلها ، ليعلم الناس أمور الاسلام •

هذه المهمة استغرقت الكثير من وقته ، ومن ثم لم يتمكن من ضبط الأحاديث التى أوردها وتخريجها فجاء فى كتابه هــذا من الأحاديث الصحيــح والحســن والضعيــف والــواهى والموضوع ، ولكن جهده مع هذا يذكر فيشكر متى لوحظ ان الضعيف والواهى والموضــوع من الأحاديث قليل بالنسبة الى جملة ما صح من نقوله ، ويبدو أنه قد اعتمد على صحيح البخارى فى الكثير من تلك الأحاديث •

---

(١) فى الكتاب أكثر من هذا العدد .

(٢) راجع مقدمة اللجنة للطبعة الأولى .

ومنذ أن أسند الى استكمال تحقيق الكتاب تمهيدا لاعادة طبعه عمدت الى تخريج أحاديث البخارى موضحا أماكنها من أبوابه حسب ما أشار اليه المؤلف ، وأضفت فى الكثير موضع الحديث فى صحيح مسلم وغيره من كتب السنة .

والمؤلف فى بعض الحالات يذكر الحديث الضعيف للاستشهاد به على معنى صحيح فاعلق عليه بحديث صحيح أو حسن لأدعم استشهاده .

ولما كان المؤلف ـ رحمه الله ـ مالكى المذهب ، فقد اعتمد فى كتابه هذا على كتب فقه هذا المذهب وكان من أهمها : كتاب المدخل لابن الحاج (١) . وكتاب مختصر سيدى خليل (٢) وكتاب الخرشى (٣) على مختصر سيدى خليل .

وقد قمت بعون الله وتوفيقه بارجاع الكثير من النصوص التى أشار اليها الى مواضعها من هذه الكتب غير أن بعض مراجعه التى صرح بها لم أعثر عليها بين كتب المذهب المالكى المتداولة فى مصر .

وسيظهر للقارىء مقدار الجهد الذى بذلت لاستكمال تحقيق الكتاب والارشاد الى أغلب مصادره .. توثيقا لما بذله المؤلف فى موضوعه وكان ما أوردته فى الهوامش حتى يبقى الكتاب كما حرره مؤلفه ، بالاضافة الى ما قامت به اللجنة التى تولت تقديمه للطبعة الاولى .

وأحمد الله وأشكره حيث يسر لى القيام بهذا الجهد الذى ابتغيت به وجه الله تعالى .

---

(١) ابن الحاج هو أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى الشهير بابن الحاج كان فاضلا ، عارفا اقتدى به الكثير منهم : أبو محمد عبد الله بن أبى جمرة . وله التآليف النافعة : من اجلها هذا الكتاب المسمى بمدخل الشرع الشريف على المذاهب .

قال العلامة ابن حجر : هو كثير الفوائد كشف فيه عن معائب وبدع يفعلها الناس ، ويتساهلون فيها ، واكثرها مما ينكر ، وبعضها مما يحتمل ، وذكر فيه ان شيخه أبا محمد عبد الله بن أبى جمرة اشار الى تعليم الناس مقاصدهم فى اعمالهم فكتبه وسماه المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين النيات .

فرغ من تاليفه فى سابع محرم سنة ٧٣٢ـ عاش بضعا وثمانين سنة وتوفى بالقاهرة سنة ٧٣٧ انظر هدية العارفين ج ١٤٩/٦ وطبقات الشعرانى ج ١ـ١٧٢ ، وحسن المحاضرة ١ـ٤٥٩ـ٧٦ ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ٤ ـ ٢٣٧ .

(٢) وصاحب المختصر هو : الشيخ خليل بن اسحاق بن موسى ضياء الدين الجندى : فقيه مالكى من اهل مصر ، تعلم بها ، وولى الافتاء على مذهب مالك له كتاب « المختصر » المسمى « بمختصر سيدى خليل » فى الفقه المالكى ـ ٧٧٦ هـ ـ ١٣٧٤ م ـ اهـ الأعلام للزركلى ٣١٥/٢ .

(٣) ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن على الخرشى ـ بخاء وراء وشين بدون الف فتكون نسبة على غير قياس ـ لأن بلده يقال لها ابو خراش قرية من محافظة البحيرة من أعمال مصر .

انظر حاشية العدوى على الخرشى ، شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية لابن مخلوف ١ ـ ٣١٧ ـ ١٢٣٤ ، هدية العارفين ٦ ـ ٣٠٢

فان وفقت : فهذا من فضل الله . وان قصرت فأطلب العفو منه تعالى ، واستميح القراء قبـــول عذرى فى هـــذا التقصير ، وأقول كما قـــال المؤلف (فان ظهر غلط أو وهم ، أو تقصير أو غفلة ، أو نسيان .. فالمحل قابل . وان ظهـــر خير فبفضل الله ورحمته) ..

والحمد لله رب العالمين فى أوله وآخره .

احمد عبد الله باجور

الباحث بلجنة السنة
بمجمع البحوث الاسلامية
بالأزهـــــر

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

«يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا»[1] .

(قرآن كريم)

---

(١) سورة النساء اية ٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الاستاذ الدكتور محمد البهي

مدير جامعة الازهر

كتاب احياء السنة واخماد البدعة ، أحد كتابين من نيف وعشرين كتابا ، للمصلح الشيخ عثمان بن محمد بن فودى (١٢٣٢ هـ ١٨١٧ م) مؤسس النهضة الاسلامية الحالية في افريقيا الغربية . أما الكتاب الثاني فهو : « حصن الأفهام من جيوش الأوهام » (*)

والكتابان يكمل أحدهما الآخر : الأول منهما في الجانب التطبيقي العملي للاسلام ، والثاني في الجانب التصوري والعقيدي منه .

وبربط الكتابين أحدهما بالآخر ترسم الصورة الجلية للمؤلف العالم الفاضل والمصلح الاسلامي الكبير . منهما معا يتجلى عمله الاصلاحي والتجديدي ، وتتحدد هدفه من تأليفهما كما تتحدد الغاية من رسالته التي قام يدعو اليها طوال حياته .

دعوته الاصلاحية :

أراد هذا العالم المصلح أن يحقق في القرن الثامن عشر ، ما دعا اليه ابن تيمية (٧٢٨ هـ ـ ١٣٢٨ م) من قبل في القرن الرابع عشر ، من وجوب الفصل بين الاسلام ومبادئه من جانب ، وبين الآراء التي دخلت الجماعة الاسلامية على ممر الزمن ، واتصلت اتصالا وثيقا بتلك المبادىء من جانب آخر ، حتى أصبح من العسير أن يميز المسلم بين أصيلها وطارئها ، وبين ما هو من الاسلام ، وما هو دخيل عليه .

وقد سلك الشيخ عثمان بن فودى في هذه القضية : قضية الفصل بين ما هو اسلام وما ليس باسلام ـ مسلكا ـ في غاية البساطة وفي الوقت نفسه في غاية القوة والوضوح . فعمد في كتاب « احياء السنة واخماد البدعة » الذي نقدم له اليوم ، الى بيان ما هي السنة التي يجب اتباعها في المجال العملي والتطبيقي للإسلام ، وما هي البدعة التي يجب اجتنابها في هذا المجال .

أما في الكتاب الثاني وهو كتاب : « حصن الأفهام من جيوش الأوهام » فقصد الى مجال العقائد والتصورات ، وكشف عن أصل السنة وعما طرأ عليها من البدعة ، موضحا كل ذلك بالدليل من الكتاب أو السنة أو الاجماع .

(*) مطبعة الزاوية التيجانية بالقاهرة ١٣٧٧ هـ

صلته بالحركة السلفية :

وعثمان بن فودى مما كتبه فى هذين الكتابين ، يتضح أنه من أنصار الحركة السلفية التى تدعو الى رجوع المسلمين الى القرآن والسنة الصحيحة والتمسك بهما وجعلهما الأساسين اللذين يرد اليهما كل خلاف بين المسلمين ، واللذين يقوم بهما كل رأى نسب الى الاسلام أو كل عمل يؤدى منسوبا اليه .

هو من أولئكم الذين يجعلون من قبول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » (١) شعار المسلمين فى كل وقت وفى كل جيل ، بحيث لا يكون الايمان بالعصمة الا لله جل جلاله ، ثم لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبحيث لا يكون الاتباع ولا تكون الطاعة واجبة الا لما نص عليه كتاب الله ، ولما جاء فى الحديث الصحيح لرسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، والا لما وافق ما جاء فيهما موافقة صريحة واضحة من أقوال المسلمين .

تأثره بابن تيمية :

عثمان بن فودى هو أحد القلة من العلماء الذين تتلمذوا على كتب ابن تيمية ، بعد أن اتصلوا بها فى مكة عن طريق محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦ هـ ــ ١٧٩٢ م) وهو ثانى اثنين من أصحاب الحركة السلفية من بين هؤلاء القلة فى افريقية . أما الآخر فهو محمد ابن على السنوسى الكبير (١٢٧٦ هـ ــ ١٨٥٩ م) فى شمال افريقية . والحركة السلفية فى افريقية وفى مصر مدينة لهذين العالمين ، وان اختلفت المناطق التى تأثرت بكل واحد منهما .

فاذا كان لمحمد بن على السنوسى الكبير فضل على الحركات الاصلاحية فى شمال افريقية وفى مصر ــ فعثمان بن فودى ــ له هذا الفضل على تلك الحركة فى غرب افريقية ، التى تشمل القطاع الجنوبى للجزائر وبلاد المغرب حتى المحيط الأطلسى جنوبا وغربا .

وان العمل الذى قام به عثمان بن فودى فى هذين الكتابين لا يستحق ــ فحسب ــ التنويه به ، وانما يدعو الى اقتباسه والتلمذة عليه ، ثم الاستمرار فيه . ان كثيرا مما يشتبه على المسلمين فى أمر دينهم وفى مبادئه أو فى تطبيقاته ، يجد الحل الواضح اما فى هذا الكتاب أو فى ذاك .

ولا أريد أن آتى بأمثلة للقارىء من هذا الكتاب الذى أقدمه ، وهو كتاب : « احياء السنة واخماد البدعة » لتوضيح قيمة العمل الذى قام به هذا المصلح فى القرن الثامن عشر .

---

(١) سورة النساء ، آية : ٥٩ .

فى غرب افريقية . فالكتاب بين يديه ، ومن السهل قراءة اى باب فيه ، ومن قراءة هـــذا الباب تنكشف له القيمة الحقيقية لهذا العمل الجليل .

ولكنى فقط أذكر بعض الأمثلة مما كتبه فى الكتاب الثانى الذى يجب أن يعنى الأزهر بطبعه على نفقته ، اسهاما منه فى تنوير العقلية الأزهرية نفسها ، فضلا عن تنوير الرأى العام الاسلامى .

أمثلة من كتاب «حصن الافهام من جيوش الاوهام»

فى هذا الكتاب الثانى يذكر هذا العالم الجليـــل المصـــلح ، ما كان من الأوهام التى صارت عقيدة لدى المسلمين خاصة بعلم الكلام فيقول :

« ومن تلك الأوهام اعتقـــاد بعضهم أن أحدا لا يحكم له بالايمان والاسلام الا بعد تعلم العقائد وأدلتها ، وما يناظر به الخصوم وما تحل به الشبهات على طريق المتكلمين ، مـــع الحفظ والعد والقدرة على العبارة بذلك كله ، وهذا أيضا باطل ووهم على الاجماع » .

قال الامام العالم العلامة المحقق محمود بن أحمد القونوى فى شرح العمدة للنسفى : « ويحقق بطلان مذهبهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يفعل ذلك فى زمانه ، ولم يفعل ذلك الصديق زمن خلافته فى أهل الردة ، وكذا عمر رضى الله عنه لم يفعل ذلك زمن خـــلافته فى الزط والأنباط (١) لما فتح سواد العراق ، مع قلة أذهانهم وبلادة أفهامهم ، ولم يفعل ذلك أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كل من قام مقامهم الى يومنا هذا ، ولو كان ما زعموا حقا لاشتغلوا بأحد أمرين : اما بالاعراض عن قبول اسلامهم ، أو ينصب متكلم حاذق بصير بالأدلة عالم بكيفية المحاجة؛ ليعلمهم صناعة الكلام ، ثم بعد ذلك يحكمون بايمانهم ، وعند امتناعهم وامتناع كل من قـــام مقامهم الى يومنا هـــذا عن ذلك ـــ ظهـــر أن ما ذهبوا اليه باطل ـــ لأنه خلاف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه العظـــام ، وغيرهم من الأئمة الكرام » (٢) .

ويذكر ما كان منها خاصـــا بالتفرقة بين المسلم والمؤمن ـــ وهى التفرقة المشهورة لدى علماء الكلام ـــ فيقول :

« ومن تلك الأوهـــام رد بعضـــهم معنى المسلم الى معنى المنافق ، لأن حقيقة المســـلم عندهم من يظهر الاسلام وهو غير مؤمن فى قلبه ، وهذا عين النفاق ، وهذا أيضا باطـــل ووهم على الاجماع ، لأن حقيقة المسلم من يظهر الاسلام وهو مؤمن فى قلبه ، لأن الايمان شرط فى حقيقة الاسلام » .

---

(١) الزط : جيل من الهند أو السودان ، والأنباط جيل من الناس كان يسكن ســـــواد العراق (قراها) ثم استعمل فى اخلاط الناس وعوامهم .
(٢) ص ١٠ ، ١١ .

قال عبد الرحمن السيوطى فى الكوكب الساطع(١) :

وعمل الجوارح الاسلام • وشرطه الايمان والتمـــــام •

أما لفظ المسلم فيطلق مجازا على المنافق لخفاء أمره علينا (٢) • اهـ ؟

ثم يذكر من الأوهام ما شاع أيضا فى تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين يسر » (٣) فيقول :

« ومن تلك الاوهام اعتقاد بعضهم أن قوله صلى الله عليه وسلم : « الدين يسر » يوجب التساهل ولو فى الواجبات والمحرمات • واذا سمعوا من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكـر فى البلدة قالوا : هذا مشدد ؛ ان دين الله يسر وهذا أيضا باطل ووهم على الاجماع ، لان هذا التيسير المذكور فى هذا الحديث وغيره انمـا يدخل فى باب النوافل ، ولا يدخل فى بـاب الواجبات التى أجمع المسلمون على ايجابها ولا فى باب المحرمـات التى أجمـع المسلمون على تحريمها الا عند الضرورة ، كالتيمم عند عدم الماء . وكأكـل الميتـه استعماله ، وكأكـل الميتـة للمضطر » اهـ (٤) •

كما يذكر ما شاع من الأوهـام فى صـلة المتأخرين بالمتقدمين فيقول :

« ومن تلك الأوهام أن بعضهم يعميه الحسد ويقول : الصواب تـرك الاشتغال بالتواليف المؤلفة اليوم ، لأن تواليف الأئمة الأعلام الذين تقدموا لم تترك لنا شيئا نحتاج اليه ، وهم أوفر علما من الذين يؤلفون اليوم ، وهذا أيضا باطل ووهم على الاجماع ، لان كل عالم يراعى فى تأليفه همم اهل زمانه وأغراضهم ، لانه العالم بذلك ؛ ولهـذا كان تأليف كل عالم فى زمانه أنفع لأهل ذلك الزمان من تأليف غيره » (٥) كما يقول فى هذا الشأن أيضا :

---

(١) الكوكب الساطع ص ٩٧ ط البوسفور سنة ١٣٣٢ هـ .

(٢) ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) الحديث اخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الايمان باب الدين يسر ج ١ ص ١٦ ط الشـــعب بلفظ : عن ابى هريرة عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « ان الديـن يسر ، ولن يشاد الدين احد الاغلبه ، فسددوا وقاربوا ، وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة » .

واخرجه النسائى فى كتاب الايمان باب : « الدين يسر » ج ٨ ص ١٠٦ ط الحلبى بلفظ : « ان هذا الدين يسر ... الخ » من رواية ابى هريرة . وأخرجه بلفظ : « الدين يسر ، ولن يغالب الدين احد الاغلبه » البيهقى فى شـعب الايمان . انظر الجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص ٥٥٥ حديث رقم ٤٣٨ ا هـ .

والبخارى هو : محمد بن اسماعيل بـن المغيرة بن الاحنف الجعفى الامـــــام الحافظ ابو عبد الله البخارى ولد سنة ١٩٤ وتوفى سنة ٢٥٦ صاحب أصح كتاب بعـد القران الكريم وله كثير من المؤلفات غيره كالتاريخ الكبير والصغير .. الخ ا هـ يتصرف هدية العارفين ١٦/٦ .

والبيهقى هو : احمد بن الحسين بن على بـن على بن عبد الله البيهقى ابو بكر الخسرو جردى الشافعى الفقيه ولد سـنة ٣٨٤ وتوفى سنة ٤٥٨ من مؤلفاته اثبات عذاب القبر ، الجامع المصنف فى شـعب الايمان ، السـنن الصغير فى الحديث ، السنن الكبرى .. الخ ا هـ هدية العارفين ٥ ــ ٧٨ .

(٤) ص ٤٥ .

(٥) ص ٥٩ .

« ومن تلك الأوهام أن بعضهم يستبعد أن يفتح الله لاحد ممن تأخر ما لم يفتح لاحد من شيوخهم فى بـاب العلم • وهذا ايضـا باطل ووهم على الاجماع ، فما يقـال لفضل الله : ذابكم؟ اذ كان فضل الله تعالى لايختص بالأزمنة والأمكنة ، وهو تعالى قادر على كل شىء• كيف يستبعد ذلك ؟ قال تعالى : «قل ان الفضـل بيـد الله يؤتيه من يشـاء » (١) وقال تعالى : « يختص برحمته من يشـاء والله ذو الفضـل العظيم » (٢) •

ولا يفوته أن يذكر بعض الاوهام التى صارت عقيدة فيما يختص بكتب التفسير فيقول :

« ومن تلك الأوهام اعتقاد بعضهم أن كل ما وجدوه فى كتب التفسير حق ، لأنها تفسير كلام الله • وهذا أيضا باطل ووهم على الاجماع ، لان كتب جهلة المفسرين مملوءة بالاباطيـل وما لا يليق بالأنبياء ؛ ولذلك قال القـاضى عياض فى الشفاء :

« ولا تلتفت الى ماتجـده فى كتب جهلـة المفسرين والمؤرخين » (٣) •

وايضا لم يفته ان يذكر بعض الأوهـام التى تتصل بأصحاب « الكشف » فيقول :

« ومن تلك الأوهام اعتقاد بعضهم ان كل من كان من أهل الكشوفات يصح الاقتداء به فى طريق السلوك الى الله تعالى ، وهذا أيضا باطل ووهم على الاجماع ، لأن الصواب أن كل من كان من أهل الكشوفات ان كان ممن عـرف طريق السنة ظاهرا وباطنا يصح الاقتداء به فى طريق السلوك الى الله ، والا بأن كان من أهل الكشـوفات ولـم يعـرف طريق السـنة فى السـلوك الى الله وجب تعليمـه فقـط ، ولا يصـح الاقتـداء به فى ذلك لأنه مجـذوب مجرد » (٤) •

مبادىء أساسية :

ولا يفوت هذا المصلح الكبير فى هـذا الكتاب : « حصـن الأفهـام من جيـوش الأوهام » أن يقرر بعض المبادىء الأساسية التى هى فى واقع أمرها منطق الآية الكريمة التى ذكرنا أنه متمسك بها ، على أنهـا شـعار المسـلمين فى فهمهم للاسـلام وفى عملهـم بمبادئه ، على نحو ما يذكر فى قوله :

« قال أحمد زروق فى عمدة المريد الصادق : ان السنة حجة على جميع الأمة ، وليس عمل أحد من الأمة حجـة على السـنة ؛ لأن السنة معصومة من الخطأ وصاحبها معصوم ، وسـائر الأمة لم تثبت لهم العصـمة الا مع اجماعهم خاصة ، فاذا اجتمعوا تضمن اجماعهم دليـلا شرعيـا • ثم قال بعد كلام : نعرض ما جاءنا عن الأئمة على الكتاب والسنة ، فما قبلاه قبلناه • وما لم يقبلاه تركناه ، وان كانوا من جنس من يقتدى به ؛ لا ردا له ولا اعتراضا عليه ؛ بل لأنا لم نفهم وجه رجوعه الى القواعد الشرعية كما فهمنا غيره » •

---

(١) آل عمران ، آية ٧٣ .
(٢) سورة ٧٤/٣ .
(٣) ص ٦٦ .
(٤) ص ٧١ ، ٧٢ .

وفى « المدخل » تجد بعضهم لا يعرف السنة ، بل لا يتبع الا شيخه ، فاذا قلت له : السنة كذا وكذا ، يقول لك : كان شيخى يفعل كذا ، وطريق شيخى كذا ، ويصادم بذلك السنة الواضحة . انتهى . (*)

تصحيح المفاهيم الاسلامية :

كما لا يفوته أن يرد كثيرا من المفاهيم الاسلامية ـ التى حولها ضعف الأمة الاسلامية وركود الفهم لعلمائها ، الى ما يجعلها بعيدة عن منطق الاسلام ومطلوب مبادئه فى حياة الانسان ـ يردها الى وضعها الأول ، وهو ذلك الوضع الذى جعل من المؤمنين القلة أقوياء فى حمل رسالتهم وتبليغ حضارة الاسلام الى جميع أرجاء الأرض فى وقت وجيز ، لم يعرفه التاريخ لرسالة سبقته أو لحركة قامت بعده .

فهو يوضح : كيف صار « التوكل » الى معنى العجز ، ومعنى « الدعوة الى الله » ـ الى حب الرياسة ، ومعنى « الاجتهاد » الى الغلو ، ومعنى « العفو » الى الذل ، ومعنى « شرف النفس » الى التيه ، ومعنى « الوجد » (1) الى الحقد ، ومعنى « الجود » الى السرف ، ومعنى « الهيبة » الى الكبر ، ومعنى « التواضع » الى المهانة ، ومعنى « الاحتراس » الى سوء الظن . ومعنى « الرقة » الى الجزع ، ومعنى « الصبر » الى القسوة ، ومعنى « سلامة القلب » الى بله القلب ، ومعنى « الشكر » الى الفخر ... الخ (*)

***

مسلكه فى الاصلاح :

ولا شك أن هذه النصوص التى اقتبسنا ها من كتاب : « حصن الأفهام من جيوش الأوهام » للعالم المصلح عثمان بن فودى تعبر ـ بجانب كتابه الذى نقدم له وهو : « احياء السنة واخماد البدعة » ـ تعبيرا واضحا عن مسلكه فى الاصلاح وهدفه من دعوته . وهو الرجوع الى القرآن والسنة الصحيحة فيما شجر بين المسلمين من خلاف ، وفيما تنازعوا فيه من أفهام ، وفيما اختلط عليهم من أمر دينهم ، بما طرأ على جماعتهم من عادات الأمم الأخرى وتقاليدها وطقوسها واعتقاداتها ، على ممر الأزمنة التى خالطوا فيها غيرهم ، والتى ضعفوا فيها واستكانوا ، وتلقوا ما لغيرهم بالقبول وحاكوه عن تأثر به .

---

* ص ٤١ . * ص ٥٥ ـ ٥٨ .

(1) ومنه حديث ابن عمر : وعيينة بن حصن « والله ما فى بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد » اى انه لا يحبها . يقال : وجدت بفلانة وجدا ، اذا احببتها حبا شديدا ، ومنه الحديث : « فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه » اى أحبه واغتبط به . نهاية .

الحركة السلفية وأثرها فى حركات الاصلاح :

ان القرن الثامن عشر الميلادى ــ بعد ما استولى الوهابيون على الحجاز وعلى عاصمته مكة ــ كان الربط الزمنى بين زعماء الحركة السلفية فى الأمة الاسلامية فى افريقية وآسيا ، والتى أثرت فيما بعد فى حركات القرن التاسع عشر ، التى قام بها جمال الدين الافغانى (١٣١٥هـ ــ ١٨٩٧م) ومحمد عبده (١٣٢٣هـ ــ ١٩٠٥م) ثم فى الحركات الاسلامية الاصلاحية والقومية ، فى ربوع هاتين القارتين فى القرن العشرين ــ وفى مقدمتها حركة التجديد للفيلسوف الكبير محمد اقبال (١٣٥٧ هـ ــ ١٩٢٨م) ــ والتى لم تزل حتى الآن تؤتى ثمارها .

جهاد المصلحين :

وأحمد بن تيمية كان الرائد الأول للنهضة الاسلامية ؛ لاعادة بناء المجتمع الاسلامى بدعوته التى أوذى فى سبيلها ، وهى الرجوع الى الكتاب والسنة ، ونبذ التقليد والعصبية للمذاهب ، وطرح « الوسيلة » و « عصمة الامامة » .

وعثمان بن فودى أحد خلفائه المبرزين فى القرن الثامن عشر ، الذين تتلمذوا فى مدرسته ، تلك المدرسة التى يسر أمرها اليهم الداعية المصلح محمد بن عبد الوهاب ، وان لم يستطع هذا الداعية أن ينفذ بمنهج ابن تيمية وبأهدافه من دعوته ، فى حياة اتباعه حتى اليوم .

***

وقد لاقى عثمان بن فودى ــ كما لاقت الحركة السنوسية والزاوية السنوسية ، وكما لاقى جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ــ من اضطهاد الاستعمار ، ومن انكار ابناء وطنه لدعوته ، مثل ما لاقى ابن تيمية من اضطهاد التتار والصليبيين ، ومن تآمر اخوانه فى الاسلام عليه . وتلك سنة الهية ، سبقهم فيها امام المصلحين ورسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فقد لاقى العنت من الداخل والخارج على السواء ، فى سبيل دعوته وايمانه بها .

والعاقبة للمؤمنين :

ولكن من السنن الالهية أيضا أن النصر للمؤمنين وحدهم ، وأن الخلود فى الحياة والتاريخ ، للذين تحملوا الأذى فى سبيل المبادىء ، ولم يتحملوه فى سبيل اشباع شهوة البطن أو الفرج ، وعن طريق الترف والانحراف .

***

وقد كان طبع هذا الكتاب فى مطبعة الأزهر باشراف ادارة الثقافة الاسلامية ، اتباعا لارشادات فضيلة الاستاذ الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر ـ ليس فحسب تمكينا للروابط بين نيجيريا المسلمة ، وبين الجمهورية العربية المتحدة (١) ولا تذكيرا بتلك النهضة الاسلامية التى شعت فى القرن الثامن عشر فى غرب افريقية ، بل كان من وراء ذلك أيضا تنوير الرأى الاسلامى العالمى بهذا المجهود الذى قام به زعيم الاصلاح الدينى فى غرب افريقية .

وما أحوج المسلمين الى اصلاحه فى وقتنا الحاضر ، وما أحوج علماء الأزهر فى مقدمة المسلمين أن يعرفوه ؛ ثم من بعد ذلك يسيرون فى طريقه ، حتى تبقى كلمة الله هى العليا ؛ وحتى تكون ريادتهم للدعوة الاسلامية ريادة سليمة ، وبذلك تعود للمسلمين عزتهم وكرامتهم .

***

واذا ذكر التاريخ هذه النهضة الاسلامية ونتائجها فى تأليف هذا المصلح الكبير عثمان بن فودى ، فانه سيذكر حتما أن من آثار هذا البعث الاسلامى ، واحياء النهضة الاسلامية الأصيلة ، وابعاد ما طرأ عليها من بدع وأوهام ـ اصلاح الأزهر الجديد ـ فى عهد قائد الثورة جمال عبد الناصر .

***

وسيجزى الله خير الجزاء الأساتذة أعضاء اللجنة التى أشرفت على اخراج هذا الكتاب ، وكذلك كل من أشار وأسهم فى طبعه واخراجه ، فانه صادق الوعد اذ يقول : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله » (٢) .

والله الموفق والمستعان .

القاهرة فى { رمضان سنة ١٣٨١ / مارس سنة ١٩٦٢

دكتور محمد البهى

مدير جامعة الازهر

وعضو مجمع البحوث الاسلامية

---

(١) جمهورية مصر العربية الآن .

(٢) آية رقم ١٧٩ من سورة النساء .